

نَمَقَاتُ الْمَرْيَمَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ أفضلَ كلمةٍ يتكلَّمُ بها أربابُ الكلامِ، وأولى حديثٍ يُثنى له عنانُ الأَقلامِ، حمدُ الله جلَّ جلاله، على ما رفع مقدار العلم ومقامه، وأخفض رايات الجَهل وأعلامه، والصلاة على تبيه الذي بعثه هادياً وسراجاً منيراً، ورسوله الذي أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وعلى آله مصابيح الكرم، وهداة الأمم وكنوز العلم وجودة الشيم، ويعد،

إنَّ العلاقة بين علم أصول الفقه واللغة العربية علاقةٌ لها عمقٌ تاريخي يبدأ بتأسيس هذين العلمين، فقد اعتمد أحدهما على الآخر في تطوره وبنائه ووضع نظرياته ومناهجه، وقد آل هذا الارتباط إلى تضمين مباحث العربية في أصول الفقه، وكذا اعتماد القواعد الأصولية في مناهج العربية، فالعلاقة بين العلمين علاقة امداد واستمداد، كما هي احتياج وتبادل من الطرفين.

وما بين يديك - أيها القارئ الكريم - كتاب تناول فيه المؤلفُ البحث الدلالي والبلاغية عند علمٍ من أعلام مدينة الحلي ألا وهو الشيخ حسين الحلي رحمته الله في كتابه أصول الفقه، محاولةً منه للوقوف على أهمِّ المباحث الدلالية والبلاغية عند هذا العالم الجليل، كاشفاً عن الارتباط الوثيق بين علوم البلاغة والدلالة من جهة وأصول الفقه من جهة أخرى، مبيناً أبرز المفاهيم الدلالية والبلاغية

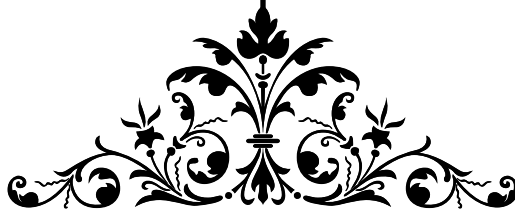
١٠..... البَحْثُ الدَّلَالِيُّ وَالْبَلَاغِيُّ عِنْدَ الشَّيْخِ حُسَيْنِ الْحَلِيِّ فِي كِتَابِهِ أُصُولُ الْفِقْهِ

التي اعتمدها الشيخ حسين الحلي في كتابه؛ بغية تحديد أوجه هذا الاتصال، والتأثير والتأثر بين العلمين في هذا الباب، والنظر في أوجه الاختلاف في التناول لمباحث هذا الباب - إن وجدت - متخذاً من التحليل الدقيق لهذه الجزئيات أداة للبحث.

وقد انبرى مركز العلامة الحلي كعادته في الاهتمام عما كُتب عن هذه المدينة وعلمائها، وإبان مشروعه الموسوم (رسائل وأطاريح حلية) تم التوافق مع الباحث وطباعة أطروحته ككتاب يصدر عن المركز، بعد أن تمت مراجعته وضبطه وإخراجه بهذه الحلة القشبية، وتقديمه بين يدي القراء ليتفجعوا به.

وفي نهاية المطاف لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والامتنان لسماحة المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة، فضيلة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه)؛ لاهتمامه في إحياء تراث هذه المدينة المباركة، وكلمات الشكر تتوالى إلى الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة الحاج حسن رشيد العبايجي لجهوده المبذولة في الإشراف والمتابعة، فلهم جميعاً غاية الشكر والامتنان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مركز العلامة الحلي
لإحياء تراث حوزة الخلة العلمية
الحلة المشرفة



المقدمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والحمد حقّه كما يستحقّه حمداً كثيراً، وأعوذُ به من شرِّ نفسي إنَّ النفسَ لأَمارةٌ بالسوءِ إلا ما رحمَ ربِّي، وأتمُّ الصلاة والتسليم على نبيّه الصادق الأمين، خيرة خلقه في العالمين، محمد المصطفى من الأولين والآخرين، وعلى آل بيته الميامين، مصابيح عترته الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الأصفياء المنتجبين.

تعد مباحث علم الأصول من المباحث التي اشتغلت بعمق في مجال فلسفة اللغة، في مستواها الدلالي والبلاغي على نحو الخصوص، ولم تكن مباحث الألفاظ التي عادة ما تكون استهلاًّ لعلم الأصول المادّة الوحيدة في دراسة اللغة لدى علماء الأصول، بل يجد الباحث مادّة متناثرة في مباحث الأصول التخصصية الأخرى، كمباحث الحجج، ومباحث الأصول العملية، ومباحث التعارض بين الأدلّة.

وكانت لدي الرغبة في مشاركة الجهود الأكاديمية التي أبرزت مثل هذه الدراسات، على أمل أن تكون مشاركة مفيدة، وكان الاختيار لهذه الدراسة قد وقع بعد المشاورة مع أستاذي المشرف الدكتور عقيل الخاقاني المحترم، وبعد اقتناع اللجنة العلمية المحترمة على كتاب أصول الفقه للمحقق الأصولي الشيخ حسين الحلّي رحمته الله، المؤلّف من اثني عشر مجلّداً، وجاءت هذه الدراسة مناسبة

١٤..... البَحْثُ الدَّلَالِيُّ وَالبَلَاغِيُّ عِنْدَ الشَّيْخِ حُسَيْنِ الْحَلِيِّ فِي كِتَابِهِ أُصُولُ الْفِقْهِ

للتعريف بعلم من أعلام مدرسة النجف المعاصرة في الفقه والأصول الذي تخطته الأضواء، وبات عطاؤه العلمي مغمورًا لا يكاد يعرفه أحد، إلا من رحم ربك، على الرغم من أن الشيخ حسين الحلّي (رحمه الله تعالى)، قد حاز قصب السبق على أقرانه ومعاصريه درايةً وتحقيقًا وعمقًا.

لقد جاءت هذه الرسالة على ثلاثة فصول، تقدّمها تمهيد مؤلّف من مبحثين، يعرض الأوّل منها سيرة الشيخ حسين الحلّي ومسيرته العلميّة، ويعرّف الثاني بالسلم التطوّري لعلم الأصول وما رافقه من ملابسات.

ومن أجل استيفاء الموضوعات التي تدرج تحت عنوان الرسالة (البحث الدلالي والبلاغي عند الشيخ حسين الحلّي)، جاء الفصل الأوّل بعنوان: (دلالة الكلمة عند الشيخ حسين الحلّي)، في ثلاثة مباحث، متكفّلًا البحث عن دلالة الكلمة عند الشيخ حسين الحلّي في ضوء البحث الدلالي والبلاغي بلحاظ الوضع وعلاقة اللفظ بالمعنى واستعمالها حقيقةً ومجازًا، ودلالاتها على العموم والخصوص، ودلالاتها على الإطلاق والتقييد.

ويقتضي الترتيب المنطقي أن يجيء الفصل الثاني ليدرس (دلالة الجملة عند الشيخ حسين الحلّي)، في مباحثه الثلاثة، متكفّلًا بحث دلالة الجملة عند الشيخ حسين الحلّي في ضوء الدراسات الدلالية والبلاغية، مع الكشف عن دلالاتها في إطار وظيفتها الشرعية في بيان الأحكام، وكان لا بدّ من عرض نظري عن مفهوم الجملة في البحث الدلالي والبلاغي والأصولي، ثم عرض المباحث التطبيقية لدلالة الجملة عند الشيخ حسين الحلّي.

وبعد ذلك تأتي دراسة العنصر المهيمن على دلالة الكلمة، ودلالة الجملة،

وهو الفصل الثالث من الرسالة، الذي جاء تحت عنوان (دلالة السياق عند الشيخ حسين الحلّي)، وفي هذا الفصل الذي تألّف من ثلاثة مباحث، يتبيّن عمق الفكر السياقي الذي أدركه الأصوليون لفظاً وإجراءً منذ ألف عام ونيف، ومحوريته في توجيه دلالة الكلام، وتشخيص مراد المتكلّم، وكان سياق الحال أو ما يسمّيه البلاغيون بالمقام أو مقتضى الحال حضوراً متميّزاً في البحث الأصولي أسوةً بالبحث البلاغي في التراث العربي.

وقد أفادت الرسالة من أمّات المصادر والمراجع العلمية، القديمة والحديثة منها، ورسائل الدكتوراه والماجستير، والبحوث المنشورة في المجالات المحكّمة، المتخصصة في علم الدلالة، والبلاغة، والأصول، ومن الدراسات الحديثة كتاب (مباحث البيان عند الأصوليين والبلاغيين)، للدكتور محمود سعد، وكتاب (التصوّر اللغوي عند علماء الأصول)، للدكتور السيّد أحمد عبد الغفار.

ومن رسائل الدراسات العليا العلمية، نحو رسالة الدكتوراه (البحث البلاغي عند الأصوليين) للدكتور حسن هادي محمد ٢٠٠٤، ورسالة الماجستير (البحث الدلالي في كتاب أصول السرخسي) للباحث نواس محمد علي عون الخفاجي ٢٠٠١، ورسالة الماجستير (السياق عند الأصوليين) للباحث سعد ابن مقبل العنزي ١٤٢٤ هـ، وغيرها من الدراسات الأكاديمية، مما أحلتُ إليها في تضاعيف الرسالة.

وفي الختام، أشكر الله تعالى أن وفقني لإنجاز هذه الرسالة، وأشكر مجدداً أستاذي الدكتور عقيل الخاقاني الذي كانت ملاحظاته وتوجيهاته خير معين لي في رحلة البحث والكتابة بعد توفيق الله تعالى وتسديده.

١٦..... البَحْثُ الدَّلَالِيُّ وَالْبَلَاغِيُّ عِنْدَ الشَّيْخِ حُسَيْنِ الْحَلِيِّ فِي كِتَابِهِ أُصُولُ الْفِقْهِ

وها أنا قد جئت ببضاعة مزجاة، هي جهد المقل، وأرجو أن تصيب هذه الرسالة موضع القبول لدى أساتذتي ومن يريد الاستفادة بقراءتها، وبخاصة لجنة المناقشة الموقرة، وما صحَّح من عملي بها فمن تأييد الله تعالى، وما قصر منه فمما جنته يد القصور والتقصير مني، ورحم الله أبا عثمان الجاحظ إذ يقول: لا يزال المرء في فسحة من عقله، ما لم يقل شعراً أو يؤلف كتاباً؛ لأنَّ شعره ترجمانُ علمه، وتأليفه عنوان عقله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربَّ العالمين، وسلام على المرسلين.